ذَخيرةُ الفِيسبوك

الفيسبُوك هو مَصْدرٌ لكَنْزٍ من المَعْلومات والمُعْطَيات، وقد كان مَرْتعًا خِصْبًا لدراساتٍ حولَ السُّلوك الاجتماعي عبرَ الإنترنت؛ فعُمْلاقُ وسائل التواصُل الاجتماعي هذا لديه فريقٌ من محلِّلي البيانات (يُدعى **فريق عِلْم البَيانات Data Science Team**)، حيث ينظر في جميع البَيَانات التي تُنْشَر في الفيسبوك. وسواءٌ أكانت المعلوماتُ عن أنفسنا أو لمجرَّد ضغط زر "الإعجاب البسيط" simple Like، فإنَّ فريقَ الفيسبوك يعرف كلَّ شيء. وبذلك، فهو يُراقِب حالتَنا المزاجيَّة، استنادًا إلى طبيعة منشوراتنا، إذا ما كانت إيجابيةً أو سلبيَّة.

قد يَخْطر في بال المرء السُّؤال التالي: ماذا يعرف الفيسبوك عنَّا، وهل هناك دراساتٌ أُجرِيَت وتُجرى مع أو من دون عِلْمنا عن هذا الموضوع؛ والجواب نعم هناك الكثيرُ من دراساتٌ التي تستفيد من رُوَّاد الفيسبوك في كَشْف أشياء كثيرة عن أنفسنا وعن اتِّجاهتنا ومُيُولنا، ولأهداف مختلفة.

١. يتلاعبُ الفيسبوك بعواطفنا

أظهرت نتائجُ بعض الدِّراسات أنَّ عَواطَفنا وانْفِعالاتنا يمكن أن تتأثَّرَ بما نَراه على وسائِل الإعْلام؛ فأولئك الذين يتعرَّضون لمنشوراتٍ سلبيَّة من المرجَّح أن يحملوا مثلَ هذه الحالة ذاتها، في حين أنَّ أولئك الذين يتعرَّضون لمنشوراتٍ إيجابيَّة يخرجون بحالةٍ إيجابية أيضًا.

٢. المنشور الذي تُعجَب به يُمثِّلك

كشفت دراسةٌ أُجرِيَت في عام ٢٠١٣ في جامعة كامبريدج أنَّ الأشياءَ التي نضع إعجابًا عليها في الفيسبوك قد تَكشف عن شخصيَّتنا؛ فمن الواضح جدًّا أنَّه إذا الكتابُ المفضَّل للشخص هو الكتاب المقدَّس مثلاً، فهناك احتمالٌ كبير لأن يكونَ مَسيحيًا. ولكنَّ هذه الدراسةَ تَذْهب أبعدَ من ذلك؛ حيث يبدو أنَّ ما يُعجَب به الشَّخصُ يكشف عن عِرْقه وجِنْسِه وعُمرِه ومُيَولِه السياسيَّة وتَوجُّهه الجِنْسي ومستوى ذكائه وحالته العاطفيَّة وربَّما مُيُوله إلى إدمان المخدِّرات.

٣. الفيسبوك يعرف الأصدقاءَ المقرَّبين لصاحب الصفحة

طُلِبَ في هذه الدراسة من المشاركين ذِكْر أقرب الناس إليهم؛ ثم درسَ الباحثون نشاطَ المشاركين على الفيسبوك، واستطاعوا التنبُّؤ بدقَّة بمن هم أقرب الأصدقاء للمشاركين، في نحو ٨٤٪ من الحالات. وهذا ما يَدْحض بالتأكيد الفكرةَ القائلة بأنَّ العلاقاتِ في الحياة الواقعيَة منفصلةٌ عن العلاقات على الإِنْترنت.

٤. نَحْن نُراقِب أَنْفسَنا

إذا تَساءَلتَ يومًا إذا ما إذا كان الفيسبوك يمكن أن يَرى ما كتبتَه في مربَّع أو خانة حالتك، ولكن لم تَنْشره، فربَّما ستكون الإجابةُ الصَّحيحة لا؛ ولكنَّ بعضَ علماءَ البيانات في الفيسبوك تَتبَّعوا تَحْديثات

الحالة غير المَنْشـــورة لملايين المستخدِمين على مدار أيَّام عديدة، واستَنْتجوا أنَّنا نحن نراقِب أَنْفسَنا عندما نكون ناشِطين على الفيسبوك.

ومن خِلال مُطابقةِ النتائج التي تَوَصَّل إليها هؤلاء الباحثون مع العوامل السكَّانية للمستخدِمين وحلقاتهم الاجتماعيَّة وميُولهم الأَيْديولوجيَّة، وجدوا أنَّ النَّاسَ يُراقِبون وجهاتِ النظر المعارِضَة قَبْلَ النَّشْر، ولا يَنْشرونها ما لم يَعْرفوا أنَّ الآخرين من حلقاتهم الاجتماعيَّة قد يتحمَّلون وجهاتِ نظرهم ويَسْكتون عنها.

وقد يَلْجأ مُسْتَخْدِمو الفِيسبوك إلى حَجْب بَعْض الأشخاص عن رؤية مَنْشوراتهم التي لا يريدون أن يطَّلعَ أولئك عليها، وهذا متيسِّرٌ عندَ تَخْصيص مَنْ يمكن أن يَرَى المنشور.

٥. المراهِقون قد يُغادِرون الفيسبوك

يَتَّصِف المراهِقون بتقلُّب التفكير والمزاج؛ ولذلك، فقد يَكْرهون الفيسبوك (لاسيَّما من كانت أعمارُهم بين ١٣ إلى ١٧ سنة)، ولكنَّ معظمَهم لا يتركونه فِعْلاً؛ وربَّما ينتقلون إلى برامج مراسَلة جديدة أكثر تفاعلاً، مثل السنَاب شات.

٦. الفيسبوكُ سوف يموت في غُضُون سنواتٍ قليلة

هناك دراسةٌ تَوَقَّعَت انخفاضًا سريعًا في استعمال عُملاق وسائل التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، ومَوْتَه في نهاية المطاف في غُضُون ٣

سنوات؛ وقد اعتمدت هذه الدراسةُ على النَّماذج الوبائيَّة لدراسة الأمراض المُعْدِية، والتي تَنْتَشِر بسرعة، وتَخْتَفي فجأة.

لقد اختبَر الباحِثون هذا النموذجَ، وتَنبَّؤوا بأنَّ القاعدةَ القصوى لمستخدمي الفيسبوك سوف تَنْخفض بنسبة ٨٠٪ (وقد أشاروا حينئذٍ إلى أنَّ ذلك سيَحْدث بحلول عام ٢٠١٧). ولكنَّ ذلك لم يَتحقَّق حتَّى الآن على الأقلّ، ربَّما بسبب سُوء تَقْدير أو عدم مَعْرفة بالتغيُّراتِ الزمنية التي تُصِيب بَعْض الأشياء والظَّواهِر، ففي العادة تَمرُّ الحياةُ بالنسبة لبَعْض الظواهر المهمَّة بمراحل قوَّة ثمَّ بمرحلة تَراجُع تَسْتغرق ربَّما عَشرات السِّنين، مِثْلها مِثْل الدُّوَل[1]؛ والفيسبوك اليومَ هو في أَوْج انتِشاره؛ وربَّما يتراجع في نهاية العقد القادِم أو ما فيما بَعْد لصالِح ظَواهِر جَديدة، أمَّا الآن فالفيسبوك في مَرْحلةِ ازْدِهار.

٧. الفيسبوك محرِّضٌ للاكتئاب

قبلَ أن تؤدِّي هذه الحالاتُ السلبية إلى ردود فعلٍ سلبية، نقول: إنَّ دراسةً أُجْرِيَت عام ٢٠١٣ في جامعة ميشيغان، وخرجت باستنتاج مفادُه أنَّ الفيسبوك يجعل الناسَ مُكْتَئِبين؛ حيث وجدت الدراسةُ أنَّه كلَّما زاد استخدامُ الفيسبوك، قَلَّت سعادةُ المستخدِم، وهذا ما اكتَشَفْته أبحاثٌ أخرى مشابهة في وقتٍ سابق.

---

[1] لقد أَعْجَبني مُصْطلحٌ أَطْلقه الأستاذ الشاعر بَراء الشَّامي على الفيسبُوك، حيث قالَ هو اليَوْم مثل إمبراطوريَّة، ربَّما يَنْطبق عليها ما يَنْطَبِق على الإمبراطوريَّات.

ولكنَّ دراسةً مُطوَّلة في جامعة ميشيغان أيضًا، كشفت أنَّ ذلك قد يكون ناجمًا عن استخدام خاطِئ للفيسبوك: لذلك، يجب عدمُ الاكتفاء بمجرَّد قراءة صفحة الفيسبوك الخاصَّة بك، وإنَّما لابدَّ من المشاركة الفاعلة والانخراط الاجتماعي مع الأَصْدقاء، فضلاً عن الابتعاد المتقطِّع عن هذه الشبكة الاجتماعيَّة.

بقيَ أن نَذْكرَ أنَّ الجزءَ الخاص من موقع الفيسبوك، وهو الميسنجَر أو قِسْم الرَّسائل والمحادَثات أو الدَّرْدشة فيه يوفِّر خدمةً كبيرة للمستخدِم، من حيث الاتِّصالُ بالأصدقاء وتبادُل أو إرسال الملفَّات والصور والمقاطِع الصوتيَّة ومقاطِع الفيديو بطريقةٍ أَغْنَت عن خدمات البريد الإلكتروني إلى حدٍّ بَعيد، وبطريقةٍ أَيْسَر.